العتبة العباسية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية

إذاعة الكفيل

سلسلة من حلقات برامج إذاعة الكفيل

صوت المرأة المسلمة

عَبَقٌ من رائحةِ الجنَّة

إعداد

آلاء طعمة

العتبة العباسية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
إذاعة الكفيل

كربلاء المقدسة
FM-95.3MHZ
النجف الأشرف
FM-103.9MHZ
ذي قار
FM-95.3MHZ
ميسان
FM-98.3MHZ
radio@alkafeel.net

الكتاب: عبق من رائحة الجنة.
الإعداد: آلاء طعمة.
التقديم: زينب علي.
المونتاج الإذاعي: زهراء قاسم.
الناشر: قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة العباسية المقدسة/ شعبة إذاعة الكفيل.
التصميم: علاء سعيد الأسدي.
الإخراج الطباعي: شيماء سامي.
التدقيق اللغوي: موفق هاشم الرحال.
المطبعة: مطبعة دار الكفيل.
الطبعة: الأولى.
عدد النسخ: ٢٠٠٠
ربيع الثاني ١٤٣٦هـ - شباط ٢٠١٥م.

مُقدِّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على محمدٍ وآله الطاهرين وسلامٌ على أصحابه البررة المنتجبين واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين.

أما بعد:

لا يخفى أنَّنا مازلنا بحاجة إلى تكريس الجهود ومضاعفتها نحو نشر المفاهيم الأخلاقية والتربوية، وترسيخ المفاهيم الإيمانية التي تضمنتها رسالة الإسلام لبناء الفرد بناءً فعلياً حقيقياً؛ ليكون انطلاقة سليمة لبناء ذلك الكيان الإنساني الشامخ الذي ماهو إلا اللبنة الأولى لبناء مجتمع إسلامي راسخ البنيان، عتيد المراسي، لذا ومساهمةً في ذلك جاءت برامج إذاعة الكفيل صوت المرأة المسلمة كسبيل للوصول إلى ذلك، وقد أخذت هذه البرامج طريقها إلى أسماع الكثيرين عبر أثيرها وعبر شبكة الإنترنت العالمية صوتاً، ولأجل تعميم الفائدة إرتأت الإذاعة إيصال برامجها كتابياً إلى أيدي الذين لم يسعفهم الوقت لسماعها وذلك بطباعة بعض من برامجها وإصدارها كراريس.

الحلقة الأولى

إنَّ الأسرة بصفتها أصغر وحدة اجتماعية هي الحجر الأساس في المجتمع البشري، وإنَّ سلامة المجتمع البشري وسعادته مرتبطة بسلامة الأسرة وسعادتها، ونشاهد في بعض المجتمعات المعاصرة -والتي فقدت فيها الأسرة قيمتها ومنزلتها السامية- الانحراف المتفاقم والمصاحب للأضرار الفردية والاجتماعية وعدم الأمن النفسي والقلق والاضطراب وغير ذلك، وإنَّ تعزيز الأسرة خير ضامن للمحافظة على حرمة الإنسان وكرامته، وليس هناك محل أفسح جواً من محيط الأسرة المحبب.

ومن المؤسف أنَّ في عصرنا أصبح هذا التأسيس الكريم معرَّضاً

لكثير من الأخطار؛ ولهذا فإنَّ تشكيل الأسرة والإحاطة بواجبات أفرادها وحقوقهم بحاجة إلى التذكر والتعلم مراراً وتكراراً، وإنَّ تعليم فنون ومهارات الحياة العائلية أصبح من أكثر الضروريات في احتياجات الإنسان المعاصر، ولو اعتبرنا أنَّنا في غنى عن هذه المفاهيم، فربَّما قد تُبتلى أسرتنا كذلك بآفات ومضار من هذا القبيل عاجلاً أو آجلاً.

سنبدأ أولاً بالحديث عن أهمية الزواج وضرورته وزمانه، فلكي نصل إلى الكمال بالزواج يجب أن نعلم أنَّ احتياجات الإنسان العاطفية والجسدية يمكن ضمانها في جوار الزوجة فحسب، والضمان لهذه الحاجة يبعث على الارتياح النفسي، فيستطيع الإنسان أن يسير في ظله نحو غاياته السامية، ولهذا فإنَّ أئمة ديننا قالوا بأنَّ الزواج يحافظ على نصف دين المرء من الشيطان، ويمكن للإنسان أن يحافظ على النصف الآخر بالاعتماد على هذا الاطمئنان.

إنَّ قبول المسؤولية تُجنِّب الاستبداد، وكثير من الفضائل الأخرى يمكن الحصول عليها عن طريق الزواج، وليس هناك حقل أكثر ملائمة ومناسبة من الأسرة.

قال الإمام الرضا عليه السلام: «**إنَّ امرأةً سألت أبا جعفر عليه السلام فقالت: أصلحك الله إنِّي متبتِّلة، فقال لها عليه السلام: وما التبتُّل عندك؟ قالت: لا أريد التزويج أبداً، قال: ولِمَ؟ قالت: ألتمس في ذلك الفضل، قال عليه السلام: انصرفي فلو كان في ذلك فضلٌ لكانت فاطمة عليها السلام أحقَّ به منكِ، إنَّه ليس أحدٌ يسبقها إلى**

الفضل»[1].

إنَّ الأسرة كحصن حصين تحمي الإنسان من أن يُصاب بسهام الكثير من الـزلات، وهي أرض خصبة تنمو فيها كفاءات الإنسان المعنوية، والإنسان المتزوج باحترامه لقانون الطبيعة يوفر له الراحة النفسية، ومع إطاعته التعاليم الإلهية يتقرب إلى الله ويزيد من إحترامه وكرامته عنده تعالى، والـزواج ذريعة لنزول الرحمة الإلهية وسوف نكسب هذه الرحمة لأنفسنا باختيار لائق لحياتنا.

عن أبي الحسن عليه السلام قال: «**جاء رجل إلى أبي جعفر عليه السلام فقال عليه السلام: هل لك من زوجة؟ قال: لا، فقال عليه السلام: لا أُحبُّ أنَّ لي الدنيا وما فيها وأن أبيت ليلةً وليس لي زوجة، ثم قال: إنَّ ركعتين يصلِّيهما رجل متزوج أفضل من رجل عزب يقوم ليله ويصوم نهاره**»[2].

إنَّنا نرتبط بكثير من الناس في حياتنا، وأنَّ النمو الإجتماعي للإنسان رهـنٌ بعلاقاته الإنسانية الواسعة، وعندما تشكل الأسرة تتَّسع هذه العلاقات بصورة مفاجئة، فالرجل يتعرف على أسرة زوجته وأقربائها، وكـذا الزوجة تتعرف على أسرة زوجها وأقربائه، والحاصل من هذه العلاقات هي المجالسة والتعارف مع أفراد مختلفين، وبطبيعة الحال ثمرتها كسب التجارب وإيجاد الصداقات القيمة، قال الإمام الرضا عليه السلام: «**لو لم**

(١) ميزان الحكمة: ٤/ ١٨٤.
(٢) مكارم الأخلاق: ١/ ١٩٤.

تكن في المناكحة والمصاهرة آية محكمة ولا سُنَّة متَّبعة لكان فيما جعل الله فيها من برِّ القريب وتآلف البعيد ما رغب فيه العاقل اللبيب وسارع إليه الموفَّق المُصيب»[1].

فكما أنَّ للطبيعة في العالم أربعة فصول مختلفة، فإنَّ طبيعة وجود الإنسان أيضاً تتعرض للتغيرات ولها ربيع وصيف وخريف وشتاء، فالسنين الأولى بعد البلوغ هي ربيع الشباب وهي أفضل زمان للإنسان كي يتزوج، ولو أنَّ هناك شروطاً ومستلزمات للزواج يجب أن يتم تهيئتها، فعلينا أن نجتهد حتى لا يؤخر السن الطبيعي للزواج متأثراً بتهيئة هذه الشروط والحصول عليها.

إنَّ عدم الاهتمام بسنِّ الزواج في مجتمع ما يسفر عن انحرافات خلقية وسلوكية جمة في ذلك المجتمع، وأشدها سلبية هو الإنحلال الأخلاقي وعدم المبالاة والتسيب، فلنكبِّل يدي الشيطان وذلك بتشجيعنا ومبادرتنا على الزواج، قال الإمام الرضا عليه السلام: «**إنَّ الأبكار من النساء بمنزلة الثمر على الشجر، فإذا أينع الثمر، فلا دواء له إلّا اجتناؤه وإلّا أفسدته الشمس وغيَّرته الريح**»[2].

---

(١) مكارم الأخلاق: ٤/ ١٨١.

(٢) عيون أخبار الرضا: ١/ ٢٨٩.

الحلقة الثانية

من المسائل التي تؤدي إلى نشوب النزاع في الحياة الزوجية خاصة لدى الشباب هي الاختلاف في الرؤى والنظرة إلى الحياة، وهذه المسألة لا تتوقف عند الشباب، بل إنَّها تنسحب أيضاً لتشمل الأكبر منهم عمراً.

إنَّ الشاب يخوض مع الفتاة تجربة الزواج ولدى كل منهما رؤاه وأحلامه وآماله العريضة، وعادة ما يغطي الخيال مساحة واسعة من معلومات كل منهما عن الطرف الآخر، وعلى هذا الأساس يبدآن ببناء حياتهما المستقبلية في جهل بإمكاناتهما وقدرات كل منهما.

ولكن، بعد أن يقضيا شهرين أو عامين في هدوء، تبدأ مرحلة من

الحساب والتقييم ومراجعة الأمور، حيث تبدد الشمس ضباب الخيال والأوهام، وعندما تترسب في الأعماق تراكمات السلوك، يسعى كل طرف في التغاضي عنها والسكوت عليها، وفي لحظة اشتعال الشرارة ينفجر الموقف وتظهر إلى السطح جميع العقد الدفينة، ويبدأ فصل من النزاع والمواجهة.

وتؤكد البحوث بأنَّ النزاع قد ينشب في بدايته حول بعض التفاصيل التافهة ثم سرعان ما يتصاعد ليهدِّد البناء الأسري برمَّته، فمن كلمة جارحة إلى العراك والضرب، إلى التفكير الجدي بالطلاق والانفصال النهائي، أما بواعث النزاع فيمكن الإشارة إليها بالنقاط التالية:-

١- المفاهيم الخاطئة عن الحياة، وخاصةً حياة الأسرة.

٢- جهل الطرفين ببعضهما قبيل خوض تجربة الزواج.

٣- عدم تفهم كل طرف لتقاليد وعادات وسلوك الطرف الآخر.

٤- إفراغ شحنات الغضب الناجمة عن عوامل خارجية في محيط الأسرة.

٥- غياب العقل والانقياد إلى العواطف.

٦- انعدام أو محدودية القابلية على تحمل الآلام والحرمان.

٧- إطلاق الأحكام جزافاً دون روية وتعقل.

٨- الندم على الزواج والشعور بالغبن.

٩- الحسد وإساءة الظن بالطرف الآخر.

١٠- غياب روح التسامح والإيثار.

١١- وأخيراً انعدام التوافق الروحي بين الطرفين، الذي يبقى بحدِّ ذاته العامل المهم وراء تدهور الحياة الزوجية وانحطاط الأسرة.

لدى من يشتد الميل إلى المنازعة؟

يشتد الميل للمنازعة لدى بعض الأشخاص ومنهم:-

١- الأشخاص الذين لا يتمتعون بالتجربة الكافية؛ بسبب صغر أعمارهم.

٢- الأشخاص الذين يعانون من الشعور بالحقارة والنقص.

٣- الأشخاص الذين يدلون بثروتهم أو منصبهم أو أقاربهم.

٤- الأشخاص الذين لا يمكنهم السيطرة على أنفسهم؛ بسبب نقص في تربيتهم.

٥- الأشخاص الذين يظنون أنَّ بإمكانهم تحقيق جميع ما تصبوا إليه أنفسهم.

٦- الأشخاص الذين يعدُّون أزواجهم رقيقاً يمكنهم توجيههم أينما يريدون.

٧- الأثرياء من الذين يرون الحياة في إطار الرفاه والثراء.

٨- الأشخاص الذين يتمتعون بالمراكز الاجتماعية ممن ينظرون إلى الناس على أنَّهم عبيد وأرقّاء لهم.

٩- وأخيراً لدى أولئك الذين يعيشون مرحلة الطفولة بالرغم من بلوغهم سن الثلاثين أو الأربعين، ويتوقعون من الآخرين أن يعاملوهم بالدلال.

نتائج النزاع

ينتهي النزاع إلى إحدى نتيجتين لا ثالث لهما إما إيجابية أو سلبية، و النتيجة الإيجابية بمعنى أنَّ أحد الأطراف وبسبب أعماله الناجمة عن الغضب والعنف قد تمكَّن من حسم النزاع لصالحه، حيث يتمكَّن من دفع زوجه إلى الاستسلام خوفاً، والسؤال هنا: أيَّة قيمة لهذه الحياة التي يسودها الخوف؟

إنَّ تحويل المنزل إلى غابة، وسيادة قانون الأقوى لا يبعث على الافتخار، وإنَّ تحكيم قانون الأقوى، وتسخير جميع الحيوانات في الغابة لا يمكن أن يكون باعثاً على الإعتزاز، وقد لا يؤدي إلى نتيجة إيجابية، أي لا ينتهي لصالح أحد الطرفين، بل ينتهي بهزيمة الطرفين معاً، فصراع مستمر، وعراك دائم، وضرب، وبالتالي يتصاعد دخان النزاع ليحرق عيون الجميع خاصة الأطفال الذين يجدون أنفسهم في مهبِّ العاصفة الهوجاء التي

سوف تقذفهم بعيداً في عالم الضياع والانحراف.

أساس الحياة المشتركة

تحتاج الحياة الزوجية المشتركة إلى مراعاة مجموعة من القواعد والضوابط التي لا يمكن بدونها الاستمرار في تلك الحياة، ذلك أنَّ الحياة الزوجية إنَّما تقوم على المودَّة والحب، حتى يمكن العيش في ظلالٍ من الطمأنينة والسلام يمكن من خلالها طي الطريق والوصول إلى الكمال المنشود، فالحياة المشتركة الخالية من آثار الحب والتضحية والتسامح تافهة لا معنى لها، والحياة بدون المودة والاحترام المتبادل حياة مذلة لا قيمة لها بل لا يمكن أن نسمِّيها حياة.

إنَّ ما يبعث على الأسف أن يجعل الزوجان من البيت جبهة للقتال أو معسكراً حربياً أو سجناً رهيباً تطغى فيه صرخات الغضب والكراهية على رفرفات السلام، فالزوجان اللذان يخفقان في النفوذ إلى روح كل منهما لا يمكنهما أبداً تحقيق جوٍّ عائلي آمن وحياة مشتركة هادئة، ولذا فإنَّ الإسلام قد عيَّن حقوقاً وضوابط في الحياة الزوجية، ودعا الرجل والمرأة إلى الالتزام بها، وأن يخطو كل منهما ضمن المسافة المحددة له في مسارٍ من شأنه أن يجنِّب الطرفين احتمالات التصادم ونشوب النزاع.

ومن خصائص عقيدتنا الإسلامية ذلك التأكيد العميق على الزواج، وعلى هذا فلا يمكن للرجل والمرأة على حدٍّ سواء الاستمرار في حياة

العزوبية مهما حاولا ذلك، والطريق الوحيد في الاستمرار في الحياة هو في الاحترام المتبادل بين الطرفين لا في الإذلال والاستخفاف، وهذه المسألة ضرورية من ناحيتين:

الأولى: قداسة الزواج كرباط إلهي.

والثانية: تحمل مسؤولية تربية الأبناء وتوجيههم.

فالحصول على الولد وحده ليس مدعاة للفخر والاعتزاز بل إنَّ ما يبعث على الاعتزاز في الواقع هو تربية الأبناء وبناء شخصيتهم وتقديمهم إلى المجتمع أفراداً صالحين، وعلينا أن لا ننسى أبداً بأنَّنا مسؤولون عن أولادنـا، وأنَّهم يتعلَّمون منا دروس الحياة وأسلوب العيش، ولذا فإنَّ علينا -ومن أجل أن نوفر السعادة للجيل الناشئ- أن نتحمَّل مسؤوليتنا وأن نتحلى بروح التسامح والتضحية، وأن نقنع بالحد الممكن من الحياة واضعين في حسابنا شركاء حياتنا، وأن نحاول على الدوام استقبال كل ما يواجهنا في مسؤوليتنا تجاه أسرنا وأطفالنا بروح من الصبر، وأن نسعى دائماً في توظيف طاقاتنا من أجل حياة أفضل.

الحلقة الثالثة

مرَّ عهد الصبا ورحلت أيامه المفعمة طهراً وصفاءً، وانتهى عهد الدلال ورعاية الوالدين وتضحياتهما، مرَّ كل هذا دون عودة كحلم وردي، وها نحن نعيش مرحلة أخرى وعهداً زاخراً بالمسؤوليات الجسام، إنَّها مرحلة التأمل والتدبر والتكامل.

مرحلة تتطلب منا أن نقف على أقدامنا ونفكر في المستقبل، ومن المؤكَّد جداً أنَّنا إذا لم نفكر بأنفسنا ومن أجل أنفسنا، فإنَّه لا يوجد من يفكر نيابةً عنا ويتحمل مسؤولياتنا.

إنَّ أعباء الحياة الجسام وطول الطريق يدفعنا إلى التفكير والبحث عن

شريك يخفف عنا قدراً من تلك الأعباء، شريك يتحمل معنا مصاعب الطريق ومتاعب الحياة، إنسان يشاركنا حلاوة الحياة ومرارتها، إنسان يدركنا ويتفهمنا يفرح لفرحنا ويحزن لحزننا، إنسان يقوم بدور المنقذ إذا ما هاجمتنا أمواج الحياة، وأخيراً شريك في كل شيء ومن أجل كل شيء، شريك ورفيق درب يبدِّد بأُنسه وحشة الطريق.

إنطلاقاً من كل ما ذكرنا، نسعى إلى تشكيل الأسرة، وعلى ضوء ذلك نحاول أن نصلح أو نعالج أو نرمِّم البناء الأُسري، ومن خلال ذلك نحاول أن نتعرَّف على أهداف الزواج؛ لكي تتضح لنا الحقيقة بين ما هو كائن وبين ما ينبغي أن يكون.

وإذا كان واقع أُسرنا كما ينبغي، فلنسع إلى التكامل أكثر فأكثر والمضي قدماً نحو الهدف المنشود، وإذا كان الواقع عكس ذلك أو صورة مشوهة عنه، فلنبادر إلى مراجعة أنفسنا وإنقاذ البقية من عمرنا قبل فوات الأوان.

قد تتساءلون لماذا تزوجنا؟ هل تظن الفتاة أنَّ زواجها جاء إثر مؤامرة دبَّرها الوالدان للتخلص منها؟ أو أنَّهما شعرا بالملل منها؟ وهل يعتقد الفتى أنَّه تزوج لكي يبحث عن المتاعب، أو أنَّه يتمتع بثروة هائلة تدفعه للبحث عن شخص أو مجموعة أشخاص لكي ينفق عليهم؟ هل أنَّ هدف الزواج هو إضافة همٍّ إلى الهموم أو محاولة للتخفيف من هموم الحياة؟

هل أنَّ الهدف من ذلك هو رغبتهم في المعاناة والألم، أو الركون إلى راحة وارفة الظلال تهبهم الشعور بالطمأنينة والسلام؟

إنَّ كثيراً منا قد أخطأ الطريق الصائب، وضاع في متاهات الدروب المظلمة، فالزواج وتشكيل الأسرة له أهداف وأغراض، وإنَّ أخذها بنظر الاعتبار سيحل كثيراً من المشكلات ويخفف من حدة النزاعات، ويضع الزوجين في الطريق الصائب الذي يقودهم إلى حياة زاخرة بالحب مفعمة بالمودة والصفاء، وإنَّ أهم أهداف الزواج هي كما يلي:-

أولاً- الحصول على الاستقرار:-

فإنَّ نمو الإنسان ووصوله إلى مرحلة البلوغ يتسبب في ظهور تغيرات متعددة تطال الإنسان جسماً وروحاً وفكراً، تشكل بمجموعها نداء الزواج، وفي هذه المرحلة ينبغي على الإنسان أن يستجيب إلى هذا النداء الطبيعي، فإنَّ التغافل عن ذلك أو إهماله سيؤدي إلى بروز الاضطرابات النفسية العنيفة التي لا يمكن أن تهدأ إلا بعد العثور على إنسان يشاركه حياته، وعندها سيشعر بالهدوء والسلام.

إذن، فإنَّ أحد أهداف الزواج هو تحقيق حالة من الاستقرار النفسي والبدني والفكري والأخلاقي، وفي ظلال هذه الحياة المشتركة ينبغي على الزوجين العمل على تثبيت هذه الحالة التي تمكنهم من النمو الشامل، ولقد أثبتت التجارب أنَّه عندما تزداد أمواج الحياة عنفاً، وحين يهدد خطر ما أحد الزوجين، فإنَّهما يلجآن إلى بعضهما لتوفير حالة من الأمن تمكنهما من مواجهة الحياة، وعليه فإنَّ الزواج ينبغي أن يحقق حالة الاستقرار وإلا فإنَّ الحياة سوف تكون جحيماً لا يطاق.

ثانياً- التكامل:-

ينتاب الفتى والفتاة لدى وصولهما سن البلوغ إحساس بالنقص، ويتلاشى هذا الإحساس في ظلِّ الزواج وتشكيل الأسرة، حيث يشعر الطرفان بالتكامل الذي يبلغ ذروته بعد ولادة الطفل الأول، ويؤثر الزواج تأثيراً بالغ الأهمية في السلوك وتبدأ مرحلة من النضج والاتجاه نحو الكمال، حيث تختفي الفوضى في العمل والتعامل بعد أن يسعى كل طرف بإخلاص إلى تسديد الطرف الآخر وإسداء النصح إليه، وخلال ذلك تولد علاقة إنسانية تعزز من روابط الطرفين وتساعدهما في المضي قدماً نحو الكمال المنشود.

ثالثاً- الحفاظ على الدِّين:-

ما أكثر أولئك الذين دفعت بهم غرائزهم، فسقطوا في الهاوية وتلوَّثت نفوسهم وفقدوا عقيدتهم، ولذا فإنَّ الزواج يجنب الإنسان السقوط في تلك المنزلقات الخطرة، وقد ورد في الحديث الشريف عن الرسولﷺ: «**من تزوَّج فقد أحرز نصف دينه**»[1]، والزواج لا يكفل للمرء عدم السقوط فحسب، بل يوفر له جواً من الطمأنينة يمكنه من عبادة الله سبحانه والتوجه إليه، ذلك أنَّ إشباع الغرائز بالشكل المعقول يخلِّف حالة من الاستقرار النفسي الذي يعد ضرورة من ضرورات الحياة الدينية، وعلى هذا فإنَّ الزواج الذي يعرِّض دين الإنسان إلى الخطر، والزواج الذي يخلِّصه من الوقوع في حبائل

(١) مكارم الأخلاق: ١٩٦.

الغريزة ليقع في حبائل أخرى مثل الكذب والخيانة والممارسات المحرمة لا يمكن أن يعد زواجاً، بل فخاً جديداً للشقاء، والزواج الذي تنجم عنه المشاكل والنزاعات وإيذاء الجيران بالصراخ، والزواج الذي يكدر صفو الأقرباء والأصدقاء ليس زواجاً بل عقاباً.

رابعاً- بقاء النسل:-

لقد أودع الله الرغبة لدى الإنسان لإستمرار النوع، ولا شكَّ أنَّ مجيء الأطفال يعد ثمرة للزواج، ولذا فإنَّ للزواج بعداً معنوياً، ينبغي أن يؤخذ بنظر الاعتبار؛ لكي يكون مدعاة للتكامل والسير في طريق الكمال، وما أكثر الزيجات التي آلت إلى الفشل؛ بسبب غياب البعد الإلهي فيها، وما أكثر الفتيات والشبان الذين تزوجوا من أجل الثراء أو الجمال أو الشهرة، ولكن بعد مرور وقت قصير شعروا بالمرارة وغرقوا في بحر من المشكلات.

الحلقة الرابعة

يتعاقد الفتى والفتاة على عهد الحياة المشتركة وتشكيل الأسرة، ويقرران تبعاً لذلك العيش معاً تحت سقف واحد، وأن يقف أحدهما إلى جانب الآخر إلى الأبد والسير معاً في الطريق الذي انتخباه، طريق الحياة الزوجية وتربية الجيل.

إنَّ عهداً كهذا لا يمكن المحافظة عليه بيسر وسهولة، ذلك أنَّ الحياة المشتركة تلزمها العديد من الضوابط والشروط التي لا يمكن بدونها الاستمرار والدوام، فالزواج يستلزم استعداداً مسبقاً من قبل الطرفين يجنبهما الوقوع في المزالق، ويستلزم كذلك يقظةً كاملةً في الشهور الأولى؛

لكي يمكن إرساء دعائم متينة للبناء الجديد، وهذا التأكيد يتضاعف في الأيام الأولى التي تكون عادة أياماً قلقة متزلزلة، فأقل خطأ يحصل سوف يلقي بظلاله القاتمة في النفس ويشعرها بالمرارة، وأساساً فإنَّ الزواج تحمل للمسؤولية، إذ لا يمكن بأي حال من الأحوال أن تستمر بعده حالة العزوبية من الشعور بالتجرد وفراغ البال.

وبالنسبة إلى أسس الحياة المشتركة، فهناك أسس وضوابط ضرورية في الحياة المشتركة، ينبغي على الطرفين رعايتها واحترامها، وإلّا فإنَّ العش الزوجي سيكون في معرض عاصفة ثلجية، وستمتد جذور الكراهية التي سرعان ما تؤدي إلى نشوب النزاع وبداية النهاية، لذا سنستعرض ببساطة بعضاً منها:-

أ- حُسن المعاشرة:-

الزواج بداية مرحلة جديدة من المعاشرة تنتهي في ظلالها عزلة الرجل والمرأة، ويبدأ عهد جديد من الألفة والأنس بينهما، وعلى أثر ذلك يحصل نوع من التقارب بين أفكار الزوجين ورؤاهما، كذلك الأمر بالنسبة للأذواق والخطط المستقبلية لحياتهما المشتركة.

ومن الضروري أن يجلس الزوجان بعد الانتهاء من عملهما ساعة على الأقل، يتحدثان خلالها عن ذكرياتهما الحلوة والمرَّة، وتداول مختلف المسائل والقضايا التي تهمهما معاً، ذلك أنَّ الصمت يشبه في مساوئه الثرثرة في الحديث ولا يجلب معه سوى الألم، فالأحاديث المتبادلة إضافة إلى أنَّها تعزز

من الألفة والأنس بين الزوجين، فهي تخفف من عقدهما وتحد من توقعات كلٍّ منهما.

ب- الإنسجام الفكري:-

إنَّ الرجل والمرأة يعضد أحدهما الآخر ويرافقه في رحلته من أجل أن يصل قارب حياتهما إلى شاطئ السعادة، وعلى هذا فإنَّه لا ينبغي عليهما السير في عكس الاتجاه المنشود، حتى لا تتعثَّر رحلتهما وتتقاذفهما الأمواج.

إنَّ على الزوجين -ومن أجل استمرار حياتهما في ظلال من الطمأنينة والأمن- أن يحاولا تطبيع فكريهما على أساس من النقاط المشتركة والأذواق المتماثلة، وفي طريق ذلك تصبح الأمور طبيعية بشرط أن يدرك كل منهما الآخر، والزوجان العاقلان الناضجان يعمل كل منهما على مساعدة الآخر ودعمه مادياً ومعنوياً، وكثيرون هم الأفراد الذين أحرزوا نجاحات باهرة في الحياة؛ بسبب استفادتهم من أزواجهم فكرياً ومن خلال استلهامهم سلوكاً وأفكاراً ورؤى عايشوها وتأثروا بها.

ج- احترام الحقوق:-

هناك حقوق وواجبات من وجهة نظر الإسلام تتعين في ظلال الحياة الزوجية، وإنَّ عدم رعايتها أو احترامها يوجب عقوبات محددة، وفي ضوء أداء تلك الواجبات ورعاية تلك الحقوق تتوضح بواعث النزاع والممارسات الخاطئة، وتنشأ في ظلال ذلك حالة من الاستقرار مما يضمن استمرار الحياة الزوجية، ومن خلال هذه الحقوق ينمو الحب في القلوب

والاحترام والإجلال والوفاء وأداء الواجب، وغير ذلك من ضرورات الحياة المشتركة، كما أنَّ الإسلام لا يسمح أبداً بحسم الخلاف لصالح الطرف القوي أو يجعل له الحق في حل المسالة في ضوء ما يرغب، كما أنَّ الممارسات يجب أن تنطلق من اعتبارات إلهية محددة، وأن لا تكون مدعاة للتشكيك في قداسة الأسرة.

د- توزيع العمل:-

من أجل استمرار الحياة الزوجية ينبغي تقسيم العمل، بحيث لا ينوء أحدهما تحت عبءٍ ثقيل يعجز عن النهوض به، ومن الخطأ الكبير أن يلقى على عاتق المرأة مسؤولية تربية الأولاد وإدارة البيت، في حين يجلس الرجل فارغ البال في زاوية من زوايا البيت، ومن الظلم أيضاً أن يلهث الرجل من الصباح إلى المساء من أجل تأمين لقمة العيش في حين تجلس المرأة في المنزل ناعمة البال.

ومن خلال سيرة النبي الأكرمﷺ يتَّضح أنَّ العمل داخل البيت هو على عاتق المرأة، بينما يبقى العمل خارج المنزل من واجبات الرجل؛ كما أنَّ هذا لا يمنع الرجل إذا ما وجد فراغاً من مساعدة زوجته ولا يمنع المرأة أيضاً إذا ما وجدت فرصة من المبادرة إلى التخفيف عن أعباء الرجل، إنَّ الهدف من تقسيم العمل هو تحقيق العدالة بين الطرفين.

هـ - التأمين:-

على أساس ما ذكرنا يتضح على من يقع واجب التأمين الاقتصادي

وعلى من تقع وظيفة تأمين الاستقرار والدفء في الأسرة، فمن الممكن أن تكون المرأة ثرية أو تعمل في وظيفة معينة، ولكن الإسلام لم يوجب عليها الإنفاق على الرجل، ذلك إنَّ الإسلام أوجب على الرجل القيام بهذه المهمة، ومن حقِّ المرأة أن يوفر لها الرجل المسكن والملبس والغذاء المناسب، بل وعلى أساس بعض الروايات أن يوفر لها قدراً معيناً من وسائل الزينة، ومن الطبيعي أن تنهض المرأة بمهمتها تجاه الرجل، حيث تتولى إدارة المنزل، وأن يكون تعاملها معه ودوداً ودافئاً، يجعل الرجل يتلهف العودة إلى البيت بشوق، وإنَّ على المرأة -واستجابةً لغرائزها الطبيعية- تربية الأطفال وجعلهم مدعاة لإشاعة الفرحة والأمل داخل البيت.

و- المداراة وضبط النفس:-

يؤدي اختلاف المشارب والأذواق بين الزوجين إلى ظهور الاختلافات والنزاعات بينهما، وأنَّ القول أنَّ الحياة الزوجية لا تشهد نزاعاً أو تصادماً بين الطرفين أمر خيالي بعيد عن الحقيقة، ولكن المهم في مثل هكذا حالات هو المداراة وضبط النفس، فالإسلام يوصي في حالة بروز نزاع عائلي أن يلجأ أحد الطرفين إلى الصمت في سبيل الله، وأن يغضَّ الطرف عن أخطاء الطرف الآخر، وأن يتعامل معه بما يرضي الله تعالى ورسوله الكريمﷺ.

وما أكثر النزاعات التي تنشأ من حساسية المرأة أو غيرتها، ولكن فطنة الرجل ويقظته تعيد المياه إلى مجاريها، فيخفت النزاع ويعمُّ الاستقرار في محيط الأسرة، فالحياة الزوجية قد ترافقها المشاكل التي لا يمكن تحملها إلا

بالصبر وضبط النفس، وتفويت الفرصة على شيطان الغضب، والتسامح، وغض الطرف قليلاً عن أخطاء الطرف الآخر، وهذا رسول الله ﷺ قمة الخلق الإنساني يقول: «**خيركُم خيركُم لأهلهِ، وأنا خيرُكُم لأهلي**»[1]، وأخيراً إنَّ من ينتخب لنفسه زوجة ينبغي أن يحترمها.

(١) وسائل الشيعة: ١٤/ ١٢٢.

الحلقة الخامسة

إنَّ ما ذكرناه هو أسس الحياة الزوجية وهو الحد الأدنى من الحياة المشتركة، وهناك من الضوابط والنقاط التي تؤدي رعايتها إلى تعزيز العلاقات بين الزوجين ويجعلها متينة، وهي:-

١- التصريح بالحب والمودة:-

من السهولة أن يتبادل الزوجان الحب، غير أنَّ إظهار ذلك وترجمته على شكل عبارة جميلة يقضي على احتمالات الشك التي قد تراود أحد الطرفين، فالإسلام يوجب أن نبرز عواطفنا تجاه من نحبهم، وهو أمر تتجلى ضرورته في الحياة الزوجية، فالمرأة -وكما يؤكد الحديث الشريف-

لا تنسى كلمة الحب التي ينطقها زوجها أبداً، فقد قال رسول الله ﷺ: «**قول الرجل للمرأة: إنِّي أحبُّك، لا يذهب من قلبها أبداً**»[1].

قد يبدو إظهار العاطفة بين الزوجين أحياناً أمراً يدعو إلى السخرية، انطلاقاً من كون المسألة واضحة لا تحتاج إلى دليل، ولكن الأمر على العكس، فبالرغم من وجود الحب إلا أنَّ التعبير عنه أمر في غاية الضرورة، حيث يعزز من قوة العلاقات الزوجية ويزيدها متانة.

٢- الاحترام المتبادل:-

يجب أن يكون الاحترام متبادلاً، وأنَّ إخلال أحد الطرفين بذلك يؤدي إلى اختلال في المعادلة كلها، فمن ينشد احترام زوجه يجب أن يحترمه أولاً، فوجاهة المرأة تضفي على الرجل قوة، وشخصية الرجل تمنح المرأة قوة وتعزز من مكانتها، لذا فمن الضروري أن يربط الزوجين نوع من الاحترام المتبادل وأن يبتعدا عن كل ما من شأنه أن يخل بهذه المعادلة، والاحترام يتجسد من خلال الحديث والتعامل، فعلى صعيد الحديث يتجلى الاحترام من خلال اللهجة الصادقة والهادئة التي تزخر بمعاني الحب، وإذا كان هناك ما يستدعي النقد، فينبغي أن يتم ذلك بأسلوب إيجابي بعيداً عن التشهير.

٣- التزين:-

من الضروري جداً أن يراعي الزوجان زينتهما ومظهرهما، وأن يحاولا الظهور بالمظهر اللائق، فالتعاليم الإسلامية تزخر بكثير من الوصايا عن

(١) وسائل الشيعة: ١٤/ ١٠.

نظافة البدن بدءاً من الاستحمام، وتنظيف الأسنان، والتعطر، وإصلاح الشعر، وقص الأظافر، وارتداء الثياب النظيفة، فكل هذا له تأثير بالغ الأهمية في ترغيب الطرفين ببعضهما وتعزيز علاقات الحب بينهما، وهناك حديث عن الإمام الكاظم عليه السلام يفيد بأنَّ زينة الرجل تزيد من عفة زوجته، فهناك العديد من النسوة اللائي انحرفن عن جادَّة العفة بسبب إهمال أزواجهن لهذا الجانب الحساس من الحياة، قال الإمام الكاظم عليه السلام: «**إنَّ التهيئة مما يزيد من عفة النساء، ولقد ترك النساء العفة بترك أزواجهن التهيئة**»[1]، وهناك روايات تفيد أيضاً بأنَّ المرأة تحب من الرجل أن يتزين لها، كما أنَّ الرجل يحب من زوجته ذلك، وقد نُقِلَ عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله حديث يفيد بأنَّ من واجب المرأة أن تتعطر لزوجها، فقد شكت امرأة لرسول الله صلى الله عليه وآله إعراض زوجها عنها فأمرها أن تتطيب له.

٤- حفظ الروابط الزوجية:-

تنشأ في ظل الـزواج حالة من الاستقلال النسبي الذي ينجم عن حاجة الطرفين إلى بعضهما بغية إشباع الغريزة الجنسية، وبالرغم من شرعية هذه المسألة إلا أنَّها لا يمكن أن تكون الأساس أو المبرر الوحيد للزواج، فالزواج الذي يقوم على هذه المسألة وحدها لا بدَّ وأن ينتهي إلى كارثة، تبدأ باحتقار الطرفين بعضهما فور إشباع غريزتيهما، ولذا فإنَّ العلاقات الزوجية ينبغي أن تقوم على أسس معنوية كرضا الله وأداء الواجب الإلهي،

(١) ميزان الحكمة: ٤/ ١٩٥.

والعمل بالسنة النبوية؛ لأنَّ أخذ هذه المقومات بنظر الاعتبار تساعد على نمو العاطفة بينهما ونضوج شخصيتهما.

٥-الذرية:-

يضفي وجود الطفل في حياة الزوجين رونقاً يزيد من جمال الحياة الزوجية ويعزز من أُسسها، ومع ظهور الطفل في سماء الأسرة يُولَد حب كبير يمد جذوره في الأعماق، إلّا أنَّه سرعان ما نشاهد البرود يغزو حياة بعض أولئك الذين يمتنعون عن الإنجاب بحجة أنَّ الأطفال سيعكِّرون عليهم الأجواء، حيث ينعكس ذلك في التعامل الجاف والمتصنع؛ فإذا أشرقت شمس الطفولة ذابت الثلوج وتدفقت الحياة في الأسرة، والأمر الآخر هو العفة، فإنَّ العفة والطهر هما أساس إنسانية الحياة الزوجية، والعامل المهم في إدامة واستمرار حياتهما المشتركة، وعلى هذا فإنَّ التعفف وطهارة الثوب مطلوبة من الرجل كما هي مطلوبة من المرأة، وأنَّ على الزوج أن يخلي قلبه من كل رغبة في غير زوجته، وعلى الزوجة أن لا تنظر إلّا إلى زوجها، وإضافة إلى الجانب الشرعي في هذه المسألة فهي أساس متين لحفظ البناء المشترك من الانهيار.

الحلقة السادسة

ذكرنا فيما مضى بعض الحالات والعوامل التي تؤدي إلى اضمحلال الأسرة وتدهورها، وهي كما أشرنا تتعلق بفترة ما قبل الزواج، والتي ينبغي الالتفات إليها وأخذها بنظر الاعتبار قبل الإقدام على الزواج وتشكيل الأسرة، وفي مقابل ذلك توجد عوامل وأسباب ترتبط في فترة ما بعد الزواج، حيث ينبغي رعايتها هي الأخرى؛ لتلافي وقوع الخلافات ونشوب النزاعات، ويمكن الإشارة إلى أبرزها وهي:-

١- **الجهل بالحقوق المشتركة**:- في خضم الحياة المتشابكة للزوجين ينبغي لكل من الزوجين معرفة حقوق الطرف الآخر واحترامها؛ ذلك

لأنَّ أغلب حالات النزاع إنَّما تنجم عن تجاهل أحد الطرفين حقوق الطرف الآخر أو جهله بها، وقد ينشأ ذلك من التوقعات غير المحدودة لأحد الطرفين، فالحياة الزوجية تنطوي على حقوق وواجبات يتوجب على الزوجين رعايتها واحترامها، وإنَّ معرفة هذه الحقوق والواجبات أولاً هي الخطوة الأساس في طريق بناء الأسرة المنشودة.

٢- **غياب التجدد في الحياة المشتركة:**- ينبغي على الزوجين السعي لتجديد حياتهما المشتركة وشحنها بكل ما يلفت النظر ويجلب الاهتمام، فإنَّ الشقاء والتصدع لا يطال الحياة الزوجية إلا عندما يشعر أحد الطرفين أو كلاهما بالرتابة المملة وأنَّه لا شيء جديد، لذا ينبغي على الزوجين التجدد لبعضهما والظهور بصورة ملفتة للنظر، وهذا ما يوصي به ديننا الحنيف.

٣- **إخفاء الأسرار:**- ينشب النزاع بين الزوجين أحياناً من تعمد الرجل والمرأة الاحتفاظ ببعض الأسرار، أو القيام ببعض الأعمال التي من شأنها أن تغضب الطرف الآخر، كمعاشرة بعض الأشخاص، أو اعتناق بعض الأفكار، أو إخفاء بعض الحقائق، وقد ينطوي ذلك على بعض المصلحة، ولكن ينبغي عدم التغافل عن بعض الأسرار التي تخص الحياة الأسرية والتي لا بدَّ أن تظهر للملأ العام يوماً ما، وعندها سيتضاعف الضرر، وأساساً فإنَّ الإنسان عدو ما يجهل، وسينصبُّ العداء في النتيجة على الطرف الذي تسبب في ذلك الجهل.

٤- **التدخل في الشؤون الخاصة:**- كثيرة هي النزاعات التي تنجم عن

تدخل أحد الطرفين في شؤون الآخر، لقد وضع الإسلام نظاماً للحياة الزوجية وعين حدوداً للزوجين، وأشار إلى حقوق وواجبات كل طرف منهما، لذا على الزوجين التحرك في إطار ما رسمه الإسلام لهما، وإنَّ هناك مجالات معينة للتعاون، ولا ينبغي التدخل في الشؤون الخاصة إلا إذا طلب الطرف المعني ذلك، وقد يحدث التدخل في بعض الأحيان من طرف بعيد كالأقارب والأصدقاء، فمثلاً تدخل سيدة ما في حياتهما كمرشد، فتتدخل في شؤون الأسرة مما يتسبب في بعض الأحيان في حدوث الخلافات بين الزوجين، وهذه ظاهرة عامة يعرفها الكثير.

٥- **الإحساس بالحرمان**:- ما أكثر أولئك الذين يبنون لأزواجهم على أساس من الأحلام والآمال العريضة قصوراً كبيرة من الخيال، وإذا بهم يجدونها مجرد أنقاض وخرائب، فيشعرون بالحرمان بعد أن عاشوا -كما صورت لهم تلك الأحلام- في قصور فخمة وحياة مرفهة، وعندما يصطدمون بالواقع المرير يخفون مشاعرهم وراء الستائر مدة ما، ولكنَّها سرعان ما تسقط وتظهر جميع الحقائق ويبدأ النزاع.

٦- **الأنانية**:- المشكلة الأخرى التي تعتري الحياة الزوجية لدى الشباب هي الأنانية والسقوط في أسر الأهواء النفسية التي تمنعهم من الرؤية الواضحة للأمور، بل يتعدى الأمر إلى رؤية الحقائق مقلوبة تماماً، ولو أنَّهم خلوا إلى أنفسهم وفكروا في سلوكهم بعيداً عن روح الأنانية لأنكشفت لهم الحقيقة، وعندها تضمحل فرص الصدام والنزاع، وينبغي للإنسان أن يربي

نفسه على التحمل وطلب الحق والعدالة، بشرط أن يكون ذلك منذ بدء حياته المشتركة، وعندها ستصبح هذه الشعارات ملكة متجذرة في روحه، فالماضي لا يعود وما تحدثنا عنه يرتبط بأشياء قد حدثت ولا سبيل لعودتها.

والسؤال هنا: ماذا يجب أن نفعل؟ أمامنا ثلاثة طرق لا غير وهي:-

أ- طريق الطلاق:-

إنَّ طريق الطلاق لا يشكِّل حلاً مُرضياً نظراً لقدسية الزواج الذي يعد إتحاداً بين شخصين عن قرار سابق ورغبة متبادلة، فالأمر الذي يتم برضا الله لا ينتهي إلا برضاه أيضاً.

ب- طريق التحمُّل والعذاب:-

تحمل الآلام لا يعد حلاً صائباً هو الآخر، إذ ليس من المنطقي أن يختار الإنسان العيش في جحيم لا يطاق يوقف مسيرته نحو الكمال.

ج- طريق الإصلاح:-

وهو الحل الذي ينشده الإسلام والعقل، وهو طريق العودة إلى جادة الصواب، إذ ليس من المستحيل أن يجلس الزوجان للتفاهم وبحث المشاكل في إطار من الموضوعية؛ لدراسة وضعهما وتشخيص الداء والاتفاق على نوع الدواء المناسب، ولا يمكن إجبار الزوجين على الاستمرار في الحياة المشتركة، ولكن من الممكن أن نعرض لهما أسس الحياة المشتركة التي تحظى برضا الله سبحانه وتعالى، ومن ثم نطلب منهما التسليم لها واحترامها،

وبالطبع فإنَّ هذا الأمر يعد الحد الأدنى الذي يحقِّق استمرار الحياة الزوجية في جوٍّ مسالم.

من سوء الحظ أنَّ الإنسان يحكم عواطفه ومشاعره في أكثر المسائل حساسية ومصيرية، فهو يطلب من الآخرين النزول على رغباته دائماً، ولو كان هناك قدر من المحبة والتسامح لما كان هناك من أثر للنزاع.

وينبغي للشباب أن يعدُّوا ما ورد إنـذاراً مبكراً لهم قبل أن يلجوا عالم الحياة الزوجية، ينبغي لهم أن يحكموا عقلهم ولا ينقادوا لأهوائهم الشخصية، وأن يحسنوا الاختيار، وأن يكون هدفهم الإنسان الذي يمكن التفاهم معه، لا الإنسان الذي يريد من الأشياء أن تدور في فلكه ومداره.

الحلقة السابعة

في غفلة عن الحسابات الواقعية للزواج، وتأثير بعضهم وإيحائهم، أحياناً تنطلق في نفس الرجل أو المرأة طموحات لا حد لها، إذ يتصور أحدهما أنَّه سيحقق في ظل الزواج جميع طموحاته دون حساب، وأنَّ الحياة ستكون مفروشة بالرياحين، غافلاً عن أنَّ الدنيا لها حسابها الذي يختلف عن حساباته.

هناك بعض الطموحات المعقولة والمحسوبة، وهذه مسألة منطقية لا يعترض عليها أحد، لكن هناك من الطموحات ما لا يمكن أبداً تحقيقه على أرض الواقع، لذا ينبغي الكف عنها، ولا يمكن استقراء جميع الطموحات

الخيالية، وسيكون عدها مسألة في غاية الصعوبة، وأهمها كظاهرة عامة:-

أ- الملائكية:- ربَّما تثير هذه المسألة الضحك عندما يطمع الرجل أو المرأة -وخاصة في أوساط الشباب- أن يكون الزوج ملاكاً بعيداً عن كل أشكال الخطأ، ولهذا فهو معرَّض للحساب واللوم دائماً إن تصور الزوج أو الزوجة ملاكاً قادماً من السماء، فنحن نعيش في عالم البشر لا في عالم الملائكة، ومن يعش في هذا العالم لا بدَّ أن يخطئ أو يصيب، فالإنسان مزيج من صفات متعددة ومن أجل خصاله الطبيعية ينبغي أن نغفر له أخطاءه أو نغض الطرف عنها.

ب- المستوى العلمي:- وهذه ظاهرة نشاهدها لدى الكثير، حيث نجد فرقاً بين المستوى العلمي للرجل والمرأة، وربَّما ظنَّ بعضهم أنَّ الحياة فصل من فصول المدرسة يجلس فيه الزوجان للبحث والمناقشة والجدل، وقد يتصور أحدهما أنَّ السعادة تكمن في ظلال شهادة الدبلوم أو الدكتوراه، وفي هذه الحالة كان من الواجب على أولئك أن يفكروا في ذلك من قبل، أو أن يهيء أحد الطرفين الظروف المناسبة لتقدم زوجه في هذا المضمار.

ج- النظام الدقيق جداً:- نشاهد لدى بعض الأزواج نوعاً من الوسواس في النظام، وإصرارهم على أن يكون كل شيء في مكانه، ولذا قد ينشب النزاع حول بعض التفاصيل اليومية، كعدم وجود القلم -مثلاً- فوق المنضدة، صحيح أنَّ الحياة تحتاج إلى قدر من النظام والبرمجة، غير أنَّ هناك فرقاً بين الأسرة ومعسكرات الجيش.

د- **الاستسلام الكامل**:- ينظر بعض الأزواج ومع الأسف إلى أزواجهم على أنَّهم عبيد وأرقاء، وعليه فإنَّهم مطالبون بتنفيذ ما يصدر إليهم من أوامر دون نقاش، وهذه النظرة بالطبع تفتقد إلى الحس الإنساني ولا ينبغي أن يشعر الإنسان بالسعادة إذا تمكن من تحقيق ذلك، فما الفائدة التي يمكن أن يجنيها الزوج إذا حوَّل زوجته إلى مجرد جارية؟ وما هو النفع الذي تجنيه الزوجة إذا تحوَّل زوجها إلى عبد؟ أليس هذا نسفاً لمعنى الحياة؟

هـ- **التشديد في السيطرة**:- إنَّ معاني الحياة تكمن في الحرية، وبالرغم من طموح الإنسان لأن يعيش حراً، فإنَّه يعمد إلى محاولة استعباد الآخرين كما يفعل ذلك بعض الأفراد بعد زواجهم، إذ يحاولون وبإصرار مراقبة كل شيءٍ بدقة كضباط التحقيق، حيث أنَّ البيت الزوجي في نظرهم منزل زاخر بالأسرار التي ينبغي الكشف عنها، فمثل هذه الرؤية المشوَّهة لا بدَّ وأن تقود إلى الاصطدام والتنازع.

و- **الإغراق في الإحترام**:- الاحترام المتبادل بين الزوجين مطلوب ولا يحتاج إلى نقاش، ولكن لكل شيء حدوده الطبيعية، فإذا تعداها فقد معناه وفائدته، كما أنَّ الحياة الزوجية حياة تنبض بالعفوية والمحبة ولا تتناسب مع الرسميات والتشريفات التي يمكن تحملها ساعة أو ساعتين، فالحياة المشتركة التي تمتد بامتداد العمر وتتسع لتشمل الحياة كلها لا تنسجم مع الرسميات التي تتناقض مع الحب والعلاقة الحميمية المشتركة.

ز- **العمل والسعي الفائقان**:- هناك بعض النسوة اللائي ما أن يصل

أزواجهن من العمل حتى يجرجرونهم إلى عمل آخر، فمثلاً تلقي المرأة طفلها الرضيع في أحضانه للقيام على راحته وشؤونه، غافلة عن أنَّ زوجها قد وصل تواً من عمل مرهق، وأنَّه يحتاج إلى قدر من الراحة، أو نشاهد بعض الأزواج ما أن يضعوا أقدامهم في البيت حتى يطلبوا من نسائهم توفير جميع وسائل الراحة، غافلين عن حقيقة أنَّ الزوجة كانت تعمل منذ الصباح في إدارة المنزل ورعاية الصغار.

كما أنَّ هناك بعض الأفراد الذين يتمنون نوعاً من السعادة قد رسموها في أذهانهم ويطلبون من الآخرين ممن يشاركونهم حياتهم أن يكونوا لهم خدماً في ذلك، فهم ينشدون حياة تطفح بالنجاح الكامل والدائم بناءً على نظرياتهم الخاصة، وعندما يحدث قصور في ذلك، فإنَّهم يحمِّلون الآخرين مسؤولية الفشل في ذلك، ومن ثم تبدأ حياة النزاع.

وما أكثر العوامل التي تنفخ في بالون الطموح وتبعده عن أرض الواقع، فمثلاً التطلع إلى حياة الآخرين خاصة أولئك الذين يعيشون في بحبوحة من العيش، إضافة إلى ما تشيعه بعض أجهزة الإعلام بمختلف وسائل التعبير من ثقافة منحرفة عن دنيا الخيال وعالم العناد الذي يبعد الإنسان ويجعله يعيش في دوامة من الخيال تحرفه عن الطريق.

إنَّ الطموحات التي تنشأ في ظل الزواج أمر لا يعترض عليه أحد، بل أنَّ الحياة الزوجية الخالية من الطموح لا معنى لها، ولكن الحديث هنا عن حدود الطموح ومدى منطقيته، ذلك أنَّ بعض الطموحات التي تخرج عن

دائرة المعقول لها آثار سلبية تهدد الحياة الزوجية بالدمار.

إذن، تحتاج الحياة الزوجية إلى قدر من القناعة وضبط النفس أمام الكثير من الرغبات التي لا يمكن تحقيقها، وهذه الحالة مطلوبة من المرأة في كثير من الأحيان خاصة إذا كان زوجها محدود الإمكانات، حيث سيساعد ذلك على حلِّ الكثير من المشكلات وتذليل العديد من العقبات التي قد تعترض طريق الحياة الزوجية.

إنَّ التمتع بالحياة الزوجية لا ينشأ في ظل الطموحات العريضة والملوَّنة، بل أنَّ الطموحات التي تخرج عن حدها قد تصدع الحياة المشتركة وتصيبها بالشلل، إنَّ الحياة المشتركة تتطلب من الإنسان أن يكون واقعياً في طموحه، صبوراً في تحقيق ما يصبو إليه، وتتطلب منه السعي المتواصل دون كلل أو ملل.

الحلقة الثامنة

إنَّ الزواج في حقيقته نوع من الاتصال والاتحاد بين عالمين مختلفين وحياتين لهما خصائص مختلفة، والزواج لا يعني إلغاء خصائص الزوجين، بل يعني التمتع بالحياة معاً والشعور بالاستقرار والطمأنينة في ظلال من الحياة المشتركة، ولذا فإنَّ مثل هكذا حياة ينبغي أن تنهض على أساس من الحب المتبادل والصفاء والتفاؤل وإلا فلا يمكن لها الاستمرار بسلام، ومن المشاكل التي تعترض الحياة المشتركة هو التشاؤم وسوء الظن الذي يهدد السلام العائلي بالخطر، ذلك أنَّه ينسف في بدايته عرى التفاهم، وبالتالي يفجر الصراع، كما ينجم عن سوء الظن بروز حالة النزاع الزوجي في

الأسرة من خلال بعض العلل والأسباب، فمرة يظهر سوء الظن في الجانب الاقتصادي، حيث يشعر أحد الطرفين بأنَّ الآخر يخفي هذا الجانب دونه، فقد تظن المرأة -مثلاً- بأنَّ زوجها يتقاضى مرتباً أكثر بكثير مما يعلن عنه، وأنَّه ربَّما يدَّخره أو يصرفه في موارد لا علم لها بها، ومرة يبرز سوء الظن عن الإحساس بالتآمر حيث يشك أحد الطرفين ويظن بأنَّ الآخر يتآمر عليه، وعندما نتعمق في داخله لا نجد سوى الحب الذي يضيع خلف ركام من عدم التفاهم وعدم إبراز هذه العواطف المتبادلة والود المشترك، وللتشاؤم في جميع صوره آثاره المدمرة في الحياة الزوجية، وقد يجر في بعض الأحيان إلى الطلاق وانهيار الأسرة، أو قد يعصف بسمعة أحد الطرفين الذي يجد نفسه في موقف صعب لا يمكنه فيه رد الاعتبار إلى كرامته المهدورة، كما أنَّ سوء الظن أول ما ينسف أساس الاتحاد بين الزوجين ويفقدهما القابلية على الاستمرار، إذ يتجلى ذلك من خلال الأحاديث الخاملة والتعبير عن الإحتقار ورؤية الحياة من خلال منظار مظلم على أنَّها مليئة بالآلام التي لا يمكن علاجها، ومن الأخطار الأخرى التي قد تنجم عن سوء الظن هو زوال الإحساس بالعزة والكرامة، مما يجعل حياة الزوجين في معرض خطر داهم، إذ أنَّ الحياة الزوجية تتطلب من كلا الطرفين حماية الطرف الآخر، وحالة سوء الظن تعني زوال هذا الجانب وانكشاف الواقع.

من الضروري الإشارة إلى الأسباب والبواعث التي تكمن وراء الشكوك وإساءة الظن، والتي تتلخص في النقاط الآتية:-

١- **التسيُّب**:- قد يبدو الزوجان من خلال المعاشرة مع الآخرين في حالة من التحلل وعدم الالتزام، خاصة لدى حضورهما معاً في المحافل العامة، وخاصة في أحاديثهما أو إطلاق الضحكات التي تجعلهم محلاً للإنتقاد، وقد يبدو أنَّهما متساهلان في ذلك، ولكن التراكمات تتجمع في الأعماق مما يولِّد الحقد الذي يظهر في أول فرصة مناسبة.

٢- **الغيرة**:- وهي أحد عوامل سوء الظن والشك، إذ أنَّها تضخم الرؤية لدى أحد الطرفين وتجعله يرى الأشياء في غير ما هي عليه، مما تدفعه إلى تعنيف الطرف الآخر بشدة متهماً إياه بالعمل على تدمير الحياة الزوجية.

٣- **الأنانية والمغامرة**:- يعاني بعض الشباب من استمرار حالة الطفولة، ولذا فإنَّهم يتصرفون كما لو كانوا أولاداً طائشين، فبمجرد ما تصوِّر لهم أوهامهم شيئاً تتأجج في أعماقهم روح المغامرة، ومن ثم يبدأ النزاع الذي يحاول بعضهم -ومع الأسف- تصعيده إنطلاقاً من لؤمهم وانحطاط نفوسهم.

٤- **السرِّية في العمل**:- قد يشعر الرجل أو المرأة بوجود أعمال في الخفاء، الأمر الذي يثير الشكوك لديهما، وعندما تتجذر حالة الشك في

النفس تتحول إلى سوء ظنٍّ مزمن يفسر الأمور على غير حقيقتها، وبالتالي يفجر حالة الصراع.

٥- **الأمراض**:- المراد من الأمراض هنا الأمراض النفسية بصورها المتعددة، فهناك حالة الوسوسة التي قد يعاني منها الرجل أو المرأة، والتي تجر حياتهما المشتركة إلى الشقاء، وهناك الضعف العصبي أو بعض العُقَد القديمة التي تعود إلى أيام الطفولة، وكل ما يجعل الروح تعيش في حالة من الضيق والتشكيك بالآخرين.

٦- **الحرمان**:- قد ينشأ سوء الظن كنتيجة لحرمان تعرَّض له أحد الزوجين في فترة سابقة، مما ولَّد لديه إحساساً بالمرارة، وهزَّ جميع الثوابت في أعماقه، فإذا به يشكك في كلِّ شيءٍ ويحاسب زوجه حساباً عسيراً من أجل شيء تافه.

٧- **وضع القيود**:- يحاول بعضهم وضع القيود في أيادي أزواجهم، بحيث يشلهم عن الحركة، بل وحتى التنفس في جو صحي، مما يدفع بالطرف المقابل إلى الشعور باستحالة استمرار الحياة الزوجية بهذه الوتيرة، ومن ثم التمرد ومحاولة التخلص من الوضع المهين والمذل.

وأخيراً، ينشأ سوء الظن بسبب تدخل بعض العوامل الخارجية من قبيل تحريض بعض الأعداء المتلبسين بثوب الصداقة، ومع الأسف فإنَّ مجتمعنا يعج ببعض الأفراد الذين لا يمكنهم تحمل رؤية سعادة واستقرار الآخرين، فيحاولون توجيه ضرباتهم المسمومة للإطاحة بالأُسر السعيدة،

ولو كان هناك أقل يقظة من جانب الزوجين لما أمكن لهؤلاء المنحطِّين أن ينجحوا في تآمرهم الدنيء، وهناك أسباب أخرى تنشأ عن رتابة الحياة مثل التدخل في الشؤون الخاصة، المراقبة المستمرة، الإهمال، الإهانة، والتعنيف الدائم وغير ذلك.

وفي نهاية المطاف نقول للزوجين إنَّكم لن تعودوا أطفالاً أحراراً كما كنتم بالأمس، وإنَّ الحياة الزوجية هي شكل من أشكال الحرية المقيَّدة والمشروطة، يتقبَّلها الزوجان كأساس للحياة المشتركة، وهي علاوةً على كونها شرطاً في الحياة الزوجية، فإنَّها تعمل على تهذيب الإنسان وتشذيب أخلاقه في المعاشرة والصحبة من خلال بعض الضوابط والقواعد التي تصب في النهاية في مصلحة الزوجين بما يعزِّز من أمن الأسرة واستقرارها.

الحلقة التاسعة

الحياة هي المحاولات والسعي المتواصل ومجموع الأحلام والطموح لتحقيق الأهداف، حيث يمر عهد الطفولة وتنقضي أيامه الزاخرة باللهو واللعب والخيالات الجميلة التي تنشأ من خلالها استعدادات الإنسان في المستقبل وتوجهاته، ولكن بعض الأحيان يتصرف الفرد في حياته وكأنَّه ذلك الطفل الذي يسعى من خلال خيالاته أن ينال القمر.

إنَّنا لا نرسم خطاً صارماً للحياة، إذ من الممكن الخروج هنا أو هناك عن المسير المعيَّن للحياة، ولكن المفروض هنا هو ذلك الجنوح في الخيال بعيداً، لأنَّه يضاعف من أخطار السقوط، وما أكثر الرغبات التي تقود إلى

المصائد وتجعل طعم الحياة مراً، وهذه المسألة تكاد تكون عامة تشمل كل نواحي الحياة إلا أنَّها تتجلى واضحة في الحياة الزوجية، حيث إنَّ الوقوع في أسر الرغبات واتباع الشهوات واللهاث وراءها، وتجاوز الحدود القانونية التي رسمها العقل والشرع من أجل سعادة الإنسان واستقراره، سيتسبب في اضمحلال الحياة الزوجية وانهيارها، وما أكثر الخلافات والحساسيات، وبعبارة أكثر صراحة ما أكثر الانحرافات التي تطبع حياة البعض من الرجال أو النساء والتي تؤدي إلى انهيار الحياة المشتركة عن حسن نية!

نعم، نحن نؤمن بأنَّ بعض المراحل من عمر الإنسان تقتضي التظاهر ومحاولة إلفات نظر الآخرين، ولكن وبعد أن يخطو الخطوة الأولى في دنيا الحياة المشتركة عليه الالتزام بالضوابط الإلهية وتوظيف هذه الموهبة الإلهية في الدائرة الشرعية التي يحدِّدها الدِّين، وأما بواعث تلك الرغبات فلا يمكن حصرها، إلّا أنَّنا نذكر أهمها وهي كما يلي:-

١- غياب النضج الكافي واعتماد العواطف.

٢- انعدام التجارب الحياتية وغياب الرؤية الصحيحة.

٣- الإحساس بالرتابة المملة والرغبة في خوض تجربة جديدة.

٤- استمرار حالة الطفولة.

٥- اللامبالاة وعدم الالتفات إلى المسائل العميقة في الحياة.

٦- تناسي الهدف من وراء الحياة.

٧- وأخيراً الوقوع في أسر الحياة العابثة واللهاث وراءها، فالسقوط في أسر الأهواء له آثاره المدمرة التي تطال الزوج وشريك حياته، كما أنَّ أكثر الممارسات التي تنبعث عن الحساسية تضاعف من الآلام، ذلك أنَّ الرجال الذين يغارون على زوجاتهم، وكذلك النساء الغيورات، لا يمكنهم السكوت تجاه أزواجهم حتى لو اقتصر الأمر على مجرد ابتسامة لشخص ليس من المحارم، ومن وجهة نظر شرعية فإنَّ حدود علاقاتنا مع الآخرين واضحة تماماً، وفيما يخص الزي الذي نرتديه فهي مسألة قد يدخل العرف في تحديدها أيضاً في حدود يرسمها الشرع، وأنَّ كلَّ أمر يؤدي إلى إثارة الظنون أو الشبهات أو يعد مقدِّمة للانحراف والسقوط هو الحرام، ذلك أنَّ مقدمة الحرام حرام أيضاً، كما تقرر ذلك القواعد الشرعية، ومن إحدى الأمور المهمة ضرورة مراجعة النفس، فربَّما يغفر الله ما ارتكبناه من ذنوب في حياتنا الماضية، شرط أن نعود إلى أنفسنا ونفكر فيما ينبغي أن نفعله مستقبلاً، فالعودة إلى النفس ضرورية لأسباب منها:-

أ- تحقيق حالة من الطمأنينة وذلك بالسعي إلى التكامل الروحي.

ب- إنَّ أبناءنا بحاجة ماسَّة إلى آباء وأمهات في مستوى المسؤولية.

ج- إنَّ الأفراد في المجتمع الإنساني مسؤولون أمام بعضهم، كلٌّ حسب موقعه لتحقيق حالة من الاستقرار والسعادة، فنحن في حالة من الحركة ينبغي علينا خلالها الالتفات إلى أنفسنا والانتباه إلى ممارساتنا وأعمالنا والسعي الدائم لتجنب السلوكيات المنحرفة والضارة، نصلح ما

اعوجَّ منها ونعتبر بما يواجهنا من خطر، كما أنَّ التهافت على الشهوات والرغبات سيمنعنا من الوصول إلى نبع السعادة، ولذا فإنَّ علينا أن نعزِّز من سلطة العقل، وأن نحدِّد ما استطعنا من نفوذ العاطفة، ذلك أنَّ الحياة تحتاج في إدارتها إلى العقل لا إلى العواطف والأحاسيس.

إذن، الزواج هو عهد المسؤولية وزمن الحساب، فلقد ولَّت حياة الضياع ودخل الزوجان عالماً جديداً يتحمل فيها الطرفان الأعباء معاً، ويتقاسمان فيه المسؤوليات كلٌّ حسب إمكاناته وقابلياته التي أودعها الله فيه، ولذا فإنَّ تواجدنا في المنزل في ساعة معينةٍ لا يعد فيه منقصةً لنا، وكذلك فإنَّ خروج المرأة من المنزل ينبغي أن يتم بموافقة زوجها صوناً لعِفَّتها وسمعتها، فالرجل يعد زوجته رمزاً لكرامته، وهو المسؤول الأول عنها؛ ومن الواجب احترام الحقوق ورعايتها، فقد قال رسول اللهﷺ: «**أعظم الناس حقاً على المرأة زوجها**»[1].

ومن بواعث النزاع في الحياة الزوجية هو انعدام تلك العلاقة الحميمية والمودة بين الزوجين، بينما في الوقت نفسه نجدهما ينفتحان على الآخرين بعلاقات غير صحيحة مما يؤثِّر سلباً في نفسيتهما ويضاعف لديهما العقد.

(١) كنز العمال: ١٦/ ٣٩٥، جامع الأحاديث: ٥/ ٩٥.

الحلقة العاشرة

يطمح كل إنسان إلى حدٍّ ما في أن يرى نفسه متفوقاً حتى لو استدعى الأمر أن يعيش في عالم الخيال الجميل، ومن خلال ذلك يخامره شعور بالعظمة التي تبعث في نفسه الفرحة والأمل بالحياة، ولكن ما يبعث على الأسف أنَّ بعض الناس يتجاوز الحد إلى فرض هذه الرؤية على الآخرين.

وفي استقرائنا للعلل والأسباب التي تؤدي إلى نشوب النزاع في بعض الأسر، تم اكتشاف بعض النماذج من الناس الذين يحاولون حتى في إطار الأسرة إثبات تفوقهم المستمر بطريقة أو بأخرى، فهناك -مثلاً- التدليل بالثراء أو المستوى العلمي أو حتى بالمناصب والوجاهات لبعض أقاربهم

وزجهم في هذه المسألة لإثبات تفوقهم أمام أزواجهم، وربَّما يصل الأمر ومن خلال الإيحاء المستمر إلى شعور بعضهم بأنَّهم قد خسروا الكثير في زواجهم، وأنَّ منزلتهم لا تتناسب والحياة مع هكذا أزواج؛ ولذا ومن خلال هذه التصورات يشعر بالحسرة على نفسه، فيتغير شعوره تجاه زوجته، فإذا هو ينظر إليها على أنَّها مجرد سكرتيرة أو خادمة.

وقد نرى هذه الحالة المرضية لدى المرأة أيضاً؛ إذ تخلط في تعاملها مع زوجها كما لو كان خادماً لديها.

تنشأ هذه الحالة بسبب بعض العقد النفسية التي هي في واقعها وليدة لمرض معين أو تربية خاطئة تسبِّب في تعكير صفو حياتهم وحياة الآخرين، وهؤلاء لا يعيشون سوى تلك الهموم التي تجعلهم ينظرون بتشاؤم إلى الآخرين، فهم يشعرون بالأسف لجهل الآخرين منزلتهم وبقاء شخصيتهم في الظل، ولذا فهم يشعرون بالوحدة والشقاء الذي تتضاعف حدته يوماً بعد آخر، فهم لا يملون الحديث عن إنجازاتهم وعن ذكائهم الخارق أو عن درجاتهم العلمية أو ثرائهم، ويودون أن يتحدث الناس عن مناقبهم لكي يرووا ظمأهم من الزهو بأنفسهم، وقد يصل الحد بهم إلى أن يذيقوا أزواجهم المرارة والعذاب، مما يؤدي في النهاية إلى تقويض أركان الأسرة.

وفي التعامل الزوجي عادةً ما يرى أولئك الأشخاص أنفسهم أكبر من حجمهم، ولذا فهم يعرضون أنفسهم على أنَّهم أعلى منزلة من الآخرين، وبمرور الزمن تتحول أفكارهم تلك إلى نوع من التكبر والغرور،

فيحاولون من خلال ذلك تحديد علاقاتهم وحصرها في عالم الكبار، فترى أحاديثهم بالونية الحجم والمحتوى، وإذا كانت لديهم إيجابية في صفة أو عمل فإنَّهم يضعونها تحت المجهر ويسهبون في الحديث عنها ويطنبون، وقد يتعذر عليهم ذلك خارج الأسرة، فيحاولون إفراغ هذه الشحنة وتعويض هذا النقص داخل أسرهم مع أزواجهم وأبنائهم، ويتحدثون عن شأنهم وعلو منزلتهم، وهذه الحالة من الزهو تنشأ في الأيام الأولى من الزواج في محاولة استعراضية، تجد الزوجة فيها نوعاً من الحديث العذب في بادئ الأمر،إلّا أنَّه قد تتسبب هذه الحالة في إثارة الصداع لديها إذا ما تكررت وأصبحت عادة متجذرة، وقد تفسرها على أنَّها نوع من الإهانة الموجهة إليها وإلى كرامتها فتلجأ جراء ذلك إلى البحث عن العيوب والمثالبلتي يمكن أن تنسبها إلى الزوج في محاولة منها للرد بالمثل، ومن أجل البحث في بواعث هذه الحالة ومعرفة الأسباب التي تكمن وراءها في محاولة للحدِّ منها أو التخفيف من آثارها على الطرف الآخر لا بدَّ من الإشارة إلى بعض الأمور ومنها:-

١- **الغرور الفارغ**:- ربَّما تدفعنا بعض المجالات الخاصة إلى الإحساس بالغرور الفارغ، فربَّما نحصل على ثروة من إرث الآباء أو الأجداد، أو عن طريق آخر كالرشوة أو الاختلاس باسم الحق، ثم نظن أنَّ هذه الثروة تجعل لنا حقاً استثنائياً في استرقاق الآخرين، أو نحصل على شهادة علمية، ربَّما جاءت في بعض الأحيان عن طريق الغش أو ترديد بعض المعلومات

المدرسية، ثم نرتقي بسبب ذلك منصباً معيناً، فنتصور الآخرين أقل فهماً وإدراكاً منا، وأنَّ عليهم أن يكونوا تابعين لنا في آرائنا وأفكارنا وخططنا دون أن نفكر بأنَّ أزواجنا وأولادنا لا ذنب لهم لكي يكونوا دائماً عبيداً تابعين.

٢- حبُّ السيطرة:- وهي من العادات الخاطئة التي تترسب في نفوسنا منذ أيام الطفولة، وقد ترافقنا إلى نهاية العمر، هو الدلال الذي اعتدنا عليه في أيام الصغر، والذي قد يصوِّر لنا الآخرين مجرد خدم لا شغل لهم سوى تلبية طلباتنا، ومما يزيد الطين بلَّة هو استمرارها حتى بعد الزواج؛ إذ نتصور الطرف الآخر خادماً لنا ينبغي عليه أن يلبي كل ما نطلبه منه، غافلين عن كونه إنساناً له كرامته وشخصيته التي تأبى عليه أن يكون عبداً لا أهمية له، وهذه الظاهرة في حقيقتها مرض أخلاقي أو نفسي ينبغي علاجه، لأنَّ استمرارها ستكون له آثاره المدمرة، خاصةً في الحياة الزوجية.

٣- النرجسية والأنانية والشعور بالنقص:- إنَّ مصلحة الحياة الزوجية تتطلب من الزوجين البحث عن السبل التي تؤدي إلى الاتحاد بينهما والتضامن بروح المحبة، فينبغي أن يكون سلوكهما باعثاً على الأمل في الحياة والمستقبل.

لقد منح الله الإنسان العديد من النعم التي لا يمكنه إحصاؤها، ولا يليق بالإنسان كإنسان أن يوظِّف تلك الهبات والمزايا في طريق الآثام، ناهيك عن الأضرار الجسيمة التي تؤدي إلى تدمير حياته.

وأخيراً يوصي الإسلام الزوجين بتعزيز الألفة والمحبة بينهما وأن لا يتوقف الزوجان عند مسألة الذوق -مثلاً- أو الرؤية بل يسعيان ما أمكنهما ذلك إلى توحيد ذوقهما وطريقة تفكيرهما بعيداً عن روح التفوق والسيطرة التي تتناقض مع الحب والمودة.

كما ينبغي أن يكون البيت الزوجي عشاً دافئاً زاخراً بالمحبة والحنان لا معسكراً تدوي فيه صرخات الأوامر التي لا تقبل النقاش.

إنَّ الإحساس بالغرور، والفظاظة في التعامل يحول الحياة الزوجية إلى جحيم لا يطاق، ولذا فإنَّ طريق الحياة المشتركة يحتاج إلى اعتدال وتحمل وتسامح، وإذا كان هناك تفوق في شأن يمتاز به أحد الزوجين على الآخر، فإنَّ هذا يستدعي الشكر لله والثناء عليه لا أن يكون سلطة يستخدمها لقمع زوجه وشريك حياته.

الحلقة الحادية عشرة

الحرية من نعم الله الكبرى التي تنشدها الإنسانية في تأريخها الطويل، فهي تلك الكلمة التي تطفح بالمعاني الجميلة والأحلام، وتلك الأمنية التي من أجلها تثور الشعوب وتقدِّم من أجل تحقيقها الغالي والنفيس.

للحرية جذورها في أعماق الإنسان، بل وحتى الحيوان، فالطائر السجين في القفص يضرب بجناحيه القضبان هنا وهناك بحثاً عن نافذة أو كوة يمكنه من خلالها الخلاص من الأسر والعودة إلى دنيا الحرية، وما أكثر الطيور التي ماتت في أقفاصها حزناً وكمداً.

أما الإنسان فهو أكثر تعلقاً بالحرية وتشبثاً بها من كل المخلوقات،

فهو دائم السعي للحفاظ عليها وصيانتها، حتى إذا شاهد يوماً عائقاً يقف في طريقه حاول إزالته وإزاحته جانباً؛ لكي يستأنف تقدمه نحو الهدف المنشود، ولا ريب في أن يتزوج الإنسان ويدخل عالم الحياة المشتركة مع إنسان آخر، هو بحدِّ ذاته نوع من التقيد ببعض الحدود والضوابط التي تستدعي منه مراعاتها، وعليه يفقد المرء جزءاً من حريته لصالح الطرف الآخر الذي يشاركه حياته، فهناك ما يقيدها ويجعلها في إطار محدود خدمةً للصالح العام، ذلك أنَّ الأسرة وإن بدت كمجتمع صغير إلا أنَّها تحمل كل مقومات المجتمع الكبير، فلو أنَّ عضواً في الأسرة يعمل ويتحرك في ضوء أهوائه وأذواقه دون أن يأخذ بنظر الاعتبار الآخرين في ذلك، ستعم الفوضى وسيطغى الاضطراب وبالتالي ستتفكك الأسرة.

لذا فإنَّ هناك حداً للحريات والطموحات الشخصية التي ينبغي أن تنتهي عندما تصطدم مع مصلحة الأسرة والحياة المشتركة، وقد تكون المرأة معنية بهذا الموضوع؛ باعتبار أنَّ الرجل أكثر ميلاً للاستمتاع بالحرية، وقد يشعر بالغضب عندما يرى أنَّ حريته تتعرَّض للقيود، وفي هذه الحالة على المرأة اتخاذ أسلوب مناسب يعتمد المداراة والتخفيف من حدة بعض الالتزامات ريثما تتوفر الأرضية المناسبة، وفي غير هذه الصورة سوف يجنح الرجل إلى الاستبداد في رأيه وربَّما النزاع، وفي هذه المناسبة ينبغي أن نذكِّر الرجل أيضاً بأنَّ زمن الحرية المطلقة قد انتهى، وأنَّ الزواج بداية لعهد من المسؤوليات التي تتطلب منه غض النظر عن كثير من الأمور والحريات.

ومن أجل الإشارة إلى مدى نطاق هذه الحدود يمكن إدراج بعض من الأمور ومنها:-

١- تنظيم الحضور:-

وهذه من أبرز المسائل وأكثرها حساسية، وينبغي للزوجين الاتفاق عليها بعد أن اختارا الحياة معاً في بيت واحد وتحت سقف مشترك، ولذا فإنَّ على الرجل أن ينظم وقته بحيث يكون له حضور في المنزل إلى جانب زوجته وأولاده بمعدل يقترب من نصف ساعات اليوم، ذلك أنَّ المرأة ترغب في تواجد زوجها مثلما يرغب الرجل في حضور زوجته وتواجدها داخل البيت، ومن الخطأ أن يبعثر الزوجان وقتيهما خارج المنزل هنا وهناك دون أن يفكرا بمسؤولياتهما تجاه الأسرة، وخلاصة المسألة أنَّه ينبغي على الزوجين تنظيم وقتيهما دون حساسية أو انزعاج من سؤال أو استفسار، وفي المقابل إذا ما حدث وخرق أحد الطرفين عادته في عودته، فلا ينبغي أن يكون هذا مثاراً للجدل أو النزاع.

٢- التقييد في الإجراءات:-

قد نرى التقييد في بعض الأحيان في إجراء يتخذه الأب -مثلاً- لتأديب ابنه عندما يرتكب خطأ يستحق العقوبة، وفي هذه اللحظة بالذات تظهر الأم كحاجز يوقف تنفيذ الإجراءات مما يؤدي إلى النزاع والمواجهة، وقد يتخذ بعض الأولياء إجراءات قاسية جداً ربَّما تعرِّض إلى مخاطر كبرى، وفي هذه الحالة على الأم أن تتدخل لمنع إجراء كهذا.

إنَّ التدخل من قبل أحد الطرفين في شؤون وأعمال الطرف الآخر خطأٌ كبير يقود إلى النزاع، وعوضاً عن هذا الأسلوب الصدامي ينبغي على الزوجين أن يفكرا بوسيلة مناسبة في تقديم النصح اللازم بحيث تحفظ للطرفين جميع الحقوق والاعتبارات.

٣- الميزانية:-

ربما يقتضي الجانب الاقتصادي في حياة الأسرة أن يبسط الرجل في الإنفاق وأن تكفَّ المرأة يدها في الاستهلاك، فالكرم والسخاء في حياة الرجل صفة طيبة ومحمودة، لذا فعليه أن يوسِّع في الإنفاق على عياله وأسرته، وأن لا يقصِّر في ذلك ما أمكنه، وعلى المرأة أن تدير شؤون منزلها حسب الإمكانات المتوفرة وأن لا تتخطى الحد المعقول في ذلك، كما أنَّ البخل في حياة الرجل خصلة مذمومة فكذلك الاتلاف في حياة المرأة، إنَّنا ومع الأسف نجد بعض الرجال قد وهبهم الله من نعمه غير أنَّهم يبخلون على أهليهم وأنفسهم ويكدِّسون الأموال فوق بعضها تحسُّباً لفقر محتمل، في حين يعيش أهلهم وأبناؤهم في فقر مدقع صنعوه بأنفسهم.

٤- الطمأنينة وراحة البال:-

نجد في بعض الحالات نزاعاً ينشب في الأسرة؛ بسبب شعور أحد الطرفين بالتهديد المستمر من قبل الطرف الآخر، فمثلاً نجد زوجاً يقضي جلَّ نهاره في العمل والكدح خارج المنزل ثم يضيف إلى ذلك أعمالاً أخرى إضافية من أجل تأمين دخلٍ يغطي مصروفات عياله، وعندما يعود إلى

المنزل من أجل التقاط أنفاسه، إذا به يواجه امرأة ناكرة للجميل تحول ساعة استراحته إلى جحيم لا يطاق، أو بالعكس، حيث تجد إمرأة تنهض للعمل في المنزل مع خيوط الفجر تدير شؤون بيتها وترعى صغارها وتغسل الثياب وتطهو الطعام، وعندما يحل المساء وتحاول أن تستريح إذا بالرجل يصرخ في وجهها: «لماذا لم تغسلي الثوب الفلاني؟ أو تكوي القميص الفلاني؟»، أو «لماذا طعامك مالح؟ أو عديم المذاق؟»، غافلاً عن أنَّ زوجته لم تفعل ذلك عمداً أو لم تجد الوقت الكافي لتكوي له ثيابه مثلاً.

٥- ضرورة استمرار الحياة الزوجية :-

ينبغي أن نذكِّر بعض الرجال أو النساء ممن يهدفون ومن خلال التنازع مع أزواجهم وفرض القيود عليهم إلى العيش بسلام في منازلهم، نذكِّرهم بأنَّ المستقبل مجهول تماماً ولا يمكن التنبؤ به أبداً.

وأيضاً نذكر بعض الأزواج الشباب الذين يحاولون -ومن خلال التهديد المستمر واستخدام القوة- انتزاع حماية الطرف الآخر لهم، بالحقيقة التي تفرض نفسها بقوة وهي أنَّ العنف لا يمكن أن يولِّد الحب، الحب الذي ينهض على أساسه البناء الأسري.

إنَّ الحياة الزوجية تستلزم شكلاً من أشكال التضحية والإيثار والحب، وأن يتجاوز الطرفان عن بعض رغباتهما وأهوائهما من أجل الآخر، لكي يمكن الحصول على دعمه وتضامنه وولائه.

الحلقة الثانية عشرة

لقد استعرضنا في حلقات سابقة جانباً من الأسباب المهمة التي تؤدي إلى نشوب النزاع في الحياة الزوجية، وفي هذه الحلقة سوف نتناول طائفة من الأسباب الأخرى التي يمكن أن تكون باعثاً على النزاع بين الزوجين وخاصة لدى الشباب، وقد تبدو هذه الأسباب ثانوية أو هامشية إلا أنَّها تكشف عن الجانب العجيب في الطبيعة البشرية ومنها على صعيد الممارسة الذاتية:-

أ- عدم القناعة:- فقد ترافق الإنسان منذ طفولته، إذ أنَّنا نشاهد أفراداً لا يقنعون بحقِّهم، بل أنَّهم يتجاوزون حدَّهم ويطلبون من الآخرين

أن يوافقوهم في ذلك، فإذا ما حدث العكس ثاروا في وجوههم وكأنَّهم أصحاب حقٍّ، فيبدأ النزاع.

ب- **البحث عن العيوب**:- قد ينشأ النزاع في بعض الأحيان بسبب البحث عن العيوب أو التنقيب عن النقائص، فترى أحد الزوجين ليس له سوى نصب الكمائن والترصد ومراقبة الطرف الآخر، فإذا وجد زلة شهَّر به، وهذه العادة تدفع بالزوج أو الزوجة إلى الكراهية والحقد ولا ينجم عنها سوى الشعور بالإذلال، وربَّما تدفع إلى التمرد والنزاع.

ج- **التقريع واللوم**:- إنَّ تصور الزوج أو الزوجة إنساناً معصوماً عن الخطأ أمر بعيد عن الواقع، فالإنسان مخلوق يخطئ ويصيب، يمشي ويكبو، بالرغم من السعي نحو الكمال والتكامل ومحاولة الحدِّ من الأخطاء، لذا فإنَّ احتمالات الخطأ واردة وهي طبيعية جداً، فإذا صدر خطأ ما فلا يستحق الأمر تقريعاً أو لوماً يعكِّر من صفو الحياة.

د- **الطموح اللامعقول**:- وهذا أمر عادةً ما يقود إلى نشوب النزاع، فقد يؤكد أحدهما مثلاً على ضرورة الإفراط في التمجيد والاحترام، والمظاهر الفارغة، وتقليد الآخرين والزواج الجديد، والإفراط في مسائل الذوق.

أما على صعيد العلاقة المشتركة، فينبغي أن تكون العلاقة الزوجية قائمة على المودة والألفة والطمأنينة وتربية الجيل، غير أنَّ هناك أسباباً صحية أو اجتماعية تؤثر على مستوى العلاقة الزوجية وتقود أحد الزوجين

إلى تناسي الآخر وعدم الاهتمام به ومن بينها غياب الانسجام، واضمحلال العاطفة، الأمر الذي يؤدي إلى التنازع.

وهناك مسائل خارجة عن الإرادة، فقد يحدث النزاع بسبب أشياء ليس للإنسان دخل في صنعها، فمثلاً تنجب المرأة بنتاً، في حين يرغب الرجل أن يكون المولود صبيًّاً مما يدفعه إلى لوم زوجته والحطِّ من شأنها، في حين أنَّ الأمر برمَّته خارج عن إرادتها، كما أنَّ الوليد هو هبةٌ من الله سبحانه سواء كان ولداً أم بنتاً، وربَّما يحاول الأب وانطلاقاً من إيمانه بضرورة تنبيه ابنه أو ابنته كأسلوب تربوي، ولكنه يجد زوجته تقف سداً حائلاً دون ذلك، فإذا حصل وارتكب الطفل خطأً ما صبَّ الأب لعناته على زوجته واعتبرها السبب في كلِّ ذلك.

وفي نطاق الحياة الاجتماعية هناك أسباب كثيرة تفجر النزاع في الحياة الزوجية، ومن جملتها:-

١- المضايقات:-

قد ينشب النزاع بسبب المضايقات المستمرة كإقدام الرجل مثلاً على فتح أبواب منزله لمن هبَّ ودبَّ من الأصدقاء والمعارف، وبالتالي يحمِّل المرأة أعباء استقبالهم والقيام على خدمتهم، أو تقوم المرأة بدعوة أهلها وأقربائها باستمرار مما يؤدي إلى إرهاق الرجل اقتصادياً، ولذا فمن الواجب مراعاة هذه المسألة وأخذ الإمكانات بنظر الاعتبار واحترام الزوجين لمشاعر أحدهما الآخر.

٢- العلاقات الاجتماعية:-

هي مسألة ينبغي أن تخضع لضوابط عديدة، وعلى الزوجين مراعاة ذلك، خاصة في ما يتعلق بالروابط ومعاشرة الآخرين، فليس من حق الرجل أن يقضي جل وقته مع هذا وذاك بعيداً عن المنزل، فلا يعود إلا بعد منتصف الليل دون أن يحسب لزوجته حساباً، كما ليس من حق المرأة أن تصرف أوقاتها مع هذه وتلك دون أدنى احترام واهتمام بزوجها أو منزلها، ومن الطبيعي أن تقود مثل هذه الحالات إلى تفكك الأسرة، وقد يتفجر الخلاف بين الزوجين أحياناً عندما يتعرض أحدهما إلى اتِّهام بالانحراف عن الطريق، حيث يثور الآخرون من أجل كرامة الأسرة، وقد ينشب العراك إذا فكر أحد الطرفين بالانتقام من صاحبه، وعلى أساس ما يسمعه من سوء المقال، وفي مثل هذه الحالات ينبغي التحقق بهدوء وموضوعية ومعالجة الأمر بتعقل بعيداً عن التوتر والتشنج.

وأيضاً إنَّ السماح للآخرين بالتدخل في الحياة الزوجية هو من أكبر الأخطار التي تواجه الأسرة، خاصةً تلك التدخلات التي تتخذ جانب التحريض والإيحاء السلبي، وهناك جوانب أخرى تؤدي إلى النزاع، منها الإصغاء لآراء الآخرين، وحب النزاع، والأمراض المزمنة التي تضعف من قابلية الإنسان على التحمل والشعور بالمرارة التي تنشأ عن الخلافات خارج الأسرة، وأخيراً الرغبة وإثبات القدرة.

إنَّ الحياة الزوجية المليئة بـالآلام والمشاكل، الزاخرة بالنزاعات والأحقاد التي لا أثر فيها للحب والود والاحترام لا يمكن أن نعدها حياة، ذلك أنَّها تفتقد مقومات الأسرة؛ حيث يغرق الطرفان في بحر من المآسي ويغرقان معهما أطفالهما.

كما إنَّ على الزوج استيعاب زوجته وتحملها إن كان يودها ويحبها، وانتهاج الطريق السليم الذي يصلحها، وعلى المرأة إذا كانت تفضِّل الحياة مع زوجها أن تتحمل بعض أخطائه من أجل أطفالها على الأقل، فتربية الأطفال ورعايتهم مسؤولية كبرى يجب أن يضحي الزوجان في سبيلها وأن يتحمل أحدهما الآخر من أجلها.

وأخيراً فإنَّ النزاع ليس الوسيلة الوحيدة التي من شأنها إصلاح الأسرة، بل هو معول هدام لا يرحم، يقوِّض أساس الأسرة ويؤدي إلى انهيارها.

الفهرس

الحلقة الأولى: أهمية الزواج وضرورته	٥
الحلقة الثانية: النزاع في الحياة الزوجية	٩
الحلقة الثالثة: أهداف الحياة الأسرية	١٥
الحلقة الرابعة: ضرورات الحياة المشتركة	٢٠
الحلقة الخامسة: تعزيز الروابط الزوجية	٢٦
الحلقة السادسة: عوامل ما بعد الزواج	٣٠
الحلقة السابعة: الطموحات اللّامحدودة	٣٥
الحلقة الثامنة: الشكوك وسوء الظن	٤٠
الحلقة التاسعة: الرَّغبات	٤٥
الحلقة العاشرة: عقدة التفوق	٤٩
الحلقة الحادية عشرة: حدود الحرية في الحياة الزوجية	٥٤
الحلقة الثانية عشرة: الأسباب الثانوية للنزاع	٥٩